مراتب الوازع وأثرها في تعميق فقه المواطنة

أ.د/ عبد القادر بن حرز الله
أ/ نبيـــل موفــق
جامعــة باتنة

الملخص :

ناقشت في هذا المقال إشكالية حراسة قواعد ومبادئ فقه المواطنة انطلاقاً من الوازع ومراتبه، فتحدّثت عن معنى الوازع، وعن مراتبه، والتي هي الوازع الجبلّي، والوازع الدّيني، والوازع السّلطاني، وارتباط هذه المفاهيم بقيم المواطنة.

ثمّ بحثت المبادئ والأسس الكبرى التي يقوم عليها فقه المواطنة، ودور مراتب الوازع في حراستها، وفي تكوين ثقافة عامة شاملة، تنطلق من مجالات الاستعدادات النّفسية والطّبيعيّة للإنسان، والمتمثّلة في الفطرة، والمعتقدات الدّينيّة، والقوانين الوضعيّة الموجّهة للسّلوك الإنساني.

وختمت المقال بإطلالة مختصرة عن آثار العولمة في سلامة المنظومة التّربويّة والتّعليميّة، والتي تعتبر قطب الرّحى في فقه المواطنة، وأشرت إلى دور الوازع في الحدّ من هذه الآثار السّلبيّة.

Abstract:

In this essay I discussed the problematic that deals with the effective protectivity and guarding of the bases and principles of the citizenship doctrine , starting from the religious obligation and its classes ; in which I dealt with its meaning first, its classifications which infact are : the innate stimulus, the spiritual stimulus and finally the authoritative one ; and their effects and relative concepts with the citizenship values.

Then I studied the large basis and principles upon which the doctrine of citizenship is founded ; and the role of the stimulus in its protection on the one hand, and the forming of a comprehensive general culture on the other hand ; begining with the different perspectives of the psychlogical and natural readiness of the human being, That is shown in the innate instinct , the spiritual beliefs and the posited laws destined to the human behaviour.

In the end, I concluded my essay with a quick flash back on the effects ot the globalization in the educational system's safety, which is infact the pivot of the mill in the citizenship doctrine . I also mentioned the role of prevention from these negative effects.

مقدّمة:

إنّ مفهوم فقه المواطنة له أهمّيّة بالغة في رسم خارطة التّعامل بين المواطنين المشتركين في الوطن الواحد، فهم ينتمون إليه جميعاً باعتبار التّاريخ والمصير المشترك، والمستقبل المتطلّع إليه، وانطلاقاً من هذه الأهمّيّة فهو يحتاج إلى بحث عميق من جوانب مختلفة، حتّى تظهر معالمه، وتتّضح مبادئه وقواعده عند المواطنين فيتسنّى لهم تطبيقها عن إدراك وفهم كاملين.

إنّ ممارسة المواطنة اليوم –في وطن غير معزول عن العالم وصراعاته ومظاهر تنوّعه الثّقافي والدّيني والمذهبي والعرقي ونحو ذلك– أضحت تتعرّض لتحدّيات ورهانات داخلية وخارجية، ممّا تطلّب الوقوف على دراسة الظّاهرة دراسة موضوعية واقعية هادفة، انطلاقاً من رؤية شاملة لمكوّنات الإصلاح المختلفة للإنسان في مسيرته الحياتية.

وأحسب أنّ من بين الأدوات التي تعمل على إصلاح وتعميق فقه المواطنة بين المواطنين، وتسهم في تفعيل مبادئ وقيم المواطنة، ما يعرف في قواعد إصلاح السّلوك الإنساني بالوازع ومراتبه، فلذلك جاء هذا المقال ليجيب عن الإشكالية التّالية:

ماهو الوازع؟ وماهي مراتبه؟ وما مدى تأثيره في تعميق فقه المواطنة؟.

– المحور الأوّل: مفهوم الوازع:

أ – تعريف الوازع لغةً .

تكاد تتّفق معاجم اللّغة في تعريف الوازع على أنّ له معنيين :

– **الأوّل:** الكفّ عن الشّيء، واتَّزع هو أي :كفَّ[1].

– **الثّاني:** الإلهام والإغراء.

أمَّا الإلهام فيقال: « أوزعه الشّيء: ألْهَمَهُ إيَّاه وأولعه به»[2].

وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى: (ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي) [3]، أي: ألهمني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ[4].

وأمّا الإغراء فيقال: أوزعته بالشيء: أغريته به[5].

ب- تعريف الوازع اصطلاحاً.

لقد استعمل العلماء لفظ "الوازع"، وما يشتق منه في كلامهم، غير أنّهم لم يضعوا تعريفا اصطلاحياً خاصًّا به -في حدود ما اطّلعت عليه- على غرار ما تعارف عليه من وضع حدود ومفاهيم للمصطلحات الشّرعية الأخرى، ولعلَّ هذا ناتج عن حداثة هذا المصطلح، وأدق تعريف وجدته، هو تعريف الطّاهر بن عاشور إذ قال: « الوازع اسم غلب إطلاقه إلى ما يزع من عمل السوء»[6].

ويقول ابن خلدون: « ...وقد تبيَّن لك كيف انقلبت الخلافة الى الملك و أن الأمر كان في أوله خلافة ووازع كُلّ أحد فيها من نفسه وهو الدين.. »[7]، وقال أيضا: « فقد رأيت كيف صار الأمر إلى الملك وبقيت معاني الخلافة من تحدّي الدين ومذاهبه والجري على منهاج الحق ولم يظهر التغيُّر إلاَّ في الوازع الذي كان ديناً ثم انقلب عصبية»[8].

ومعنى ذلك أنّ نظام الحكم في المسلمين كان يتبع الوازع الأقوى لديهم، ولمَّا غلب وازع العصبية القومية انقلب الحكم من الخلافة إلى الملك.

ومن خلال إيرادنا لهذه الجملة من أقوال العلماء في استخدامهم للفظ الوازع سواءً باللّفظ الصريح أو بالكناية الدّالة عليه فإننا نخلص إلى جملة من الأمور منها:

أ- أنَّ الوازع يتضمن في معناه أيضًا تحريك الواعظ في قلب المكلّف بحيث يجعل الجاني نكالاً وعظةً وعبرة لمن يريد أن يفعل فعله كما أنّه يحمل معنى المحاسب والمؤنِّب للنّفس.

ب- أن الوازع يكون في أحيانٍ كثيرة هو الدافع أو الباعث الذي يساعد الإنسان على فعل ما ينفع والابتعاد عما يضر.

ج- أنّ الوازع بمثابة المرشد لسلوك الإنسان في الحياة.

- المحور الثّاني: مراتب الوازع.

أ- الوازع الدّيني.

انطلاقاً ممّا تقدّم يمكن الوصول إلى مفهوم الوازع الدّيني، فقد عرّفه بعض العلماء بأنّه:(التّربية الدّينية التي تسري في نفوس المؤمنين؛ فينقادوا إلى فعل الطاعات، ويجتنبوا فعل المحرّمات، فهو وازع الإيمان الصّحيح المتفرّع إلى الرجاء والخوف)[9].

ويظهر من هذا التعريف أنّ الوازع الدّيني يحتوي عدّة مفاهيم منها :

– وظيفة الوازع الدّيني هي حراسة ومراقبة تنفيذ واحترام الأحكام الشرعية، وتحقيق معاني المواطنة المتمثّلة في الاحترام المتبادل، وحسن الجوار والمعاشرة، وحفظ الحقوق وأداء الواجبات.

– أنّ الوازع الدّيني يستند أيضاً إلى أصول خلقية وسلوكية موافقة لقصد الشّارع، تدفعه إلى تطبيق قيم ومبادئ المواطنة.

– أنّ الوازع الدّيني له تأثير في النّفوس البشرية أكثر من تأثير القوة والسّلطان، فيعتبر من خلال ذلك حارساً لفقه المواطنة ومناهجها.

ب– الوازع السّلطاني.

مصطلح " السّلطاني" في اللّغة منشق من الفعل(سلط) والاسم سُلطة بضم السين، والسُّلطة الحجّة والبرهان، والسّلطان سمي سلطاناً لأنّه حجّة الله في أرضه، والسّلطان الولي، وسلطان كل شيء شدّته، وحدّته، وسطوته[10].

وأمّا في الاصطلاح فالوازع السّلطاني هو كلّ من وكّلت إليه لإقامة نظام الشّريعة من خلفاء وأمراء وقضاة، وأهل شورى في الإفتاء، والشرطة، والحسبة ونواب الأقاليم[11].

ويلاحظ على الوازع السّلطاني أنّه يكون حارس منفصل عن نفس المكلّف، يقوم بتنفيذ الأحكام، وحراسة مفاهيم المواطنة.

وفي ذلك يقول ابن خلدون: « أنّ البشر عامة يحتاج إلى الوازع وهو الحاكم عليهم وهو بمقتضى الطبيعة البشرية الملك القاهر المتحكّم »[12].

ويقول أيضاً: « ...إن هذا الاجتماع إذا حصل للبشر كما قررناه، وتم عمران العالم بهم فلابدّ من وازعٍ يدفع بعضهم عن بعض لما في طبائعهم الحيوانية من العدوان والظلم»[13].

فوجود قوة لإقامة الحدود، وتنفيذ حكم القاضي بالحق، وصون نظام الجماعة، هو عمل جاد لرعاية قيم المواطنة في أي مجتمع من المجتمعات، وتلك القوة لا يجوز أن تكون فوضى في عدد كثير، فلابدّ أن تكون في واحد، وهو السلطان أو الخليفة.

ومفهوم الوازع السلطاني يتكرّر في السُّنة النبويّة في أحاديث كثيرة منها:

- قوله- ﷺ-: «**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنّا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجو جميعا**»[14].

فالمجتمع الذي يعيش في دولة تقوم بمسؤولياتها نحو نشر الخير بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وتطبيق العقوبات الشّرعية، فإنّه يغرس بين أفرادها احترام هذه الحدود، والبعد عن الانحرافات السّلوكية، والعمل بمقتضيات المواطنة، لأنّ الوازع السّلطاني قام بتنفيذ ما وكِّل إليه[15].

وبالوازع السّلطاني وتشريعه سعى الإسلام إلى تكوين رأي عام موحّد حول غاية سامية يستأصل نزعة الفساد أنّى وجدت ولا يسكت عنها، وهذا ما يعرف بفقه الموطنة، وليس أضرّ على شعب من مجاهرة بعض أفراده بالاعتداء على حرمات الدّين والدّولة والحقوق العامة، وانتهاك قيم المواطنة ثمّ لا يحرِّك ساكنًا لإنكار ذلك عليهم وإلزامهم بالإقلاع عمَّا هم فيه.

يقول الدّريني: « وازع السّلطة الدنيوية هو أكبر مظهر لتدخل ولي الأمر، من أجل رعاية المصلحة العامة التي هي أساس ولايته على الرعية »[16].

فالوازع السّلطاني بهذا الاعتبار يسهم في تعميق فكر المواطنة عند شركاء الوطن الواحد.

ج- الوازع الجبلّي .

الجبلي في اللّغة: الجِبلي بالكسر من الجِبل، والجبلة الخلقة، وجَبَلَهُ الله أي خلقه الله[17].

وأمَّا في الاصطلاح فمعنى الجبلي أي الفطري، وهو مأخوذ من الفطرة، والمقصود بها: « الجبلة التي خلق الله الناس عليها، وجبلهم على فعلها»[18]، قال تعالى:(فطرة الله التي فطر النّاس عليها)[19].

ومصطلح الوازع الجبلّي استعمله كثير من العلماء باسم آخر فمنهم من سمّاه الوازع الطبعي أو الطّبيعي، ومنهم من سمّاه الوازع الفطري،أو النّفسي،أو العقلي،أوالغريزي،وكلّ المعاني تصبّ في مفهوم واحد الذي هو الجبلّة .

فالعزّ بن عبد السّلام ذكر الوازع الجبلي في موضوع قبول الإقرار فقال: « وازع المقر عن الكذب طبيعي ووازع الشاهد الشّرعي، والوازع الطبيعي أقوى من الوازع الشرعي ولذلك يقبل الإقرار من كل مسلم و كافر..» [20].

وقد بين ذلك السيوطي فقال: « الإنسان يزعه عن أن يقر على نفسه بما يقتضي قتلاً أو قطعًا أو تغريم مال »[21].

فنرى هنا أنّ الوازع الجبلّي (الطّبيعي) حلَّ محل ّ ترتيب العقوبات والحدود، لكونه الزّاجر والواعظ في قلب الإنسان ونفسه، وهو بهذا الاعتبار وسيلة من وسائل تفعيل القيم الإنسانية للمواطنة.

ومن خلال ما ذكر، فإنّ المقصود بالوازع الجبلّي هو: ذلك الوازع الذي يعتبر هيئة راسخة في الإنسان وطبعه، تجعله يحرص على مصالح تدعو إليها الجبلّة، أو الطّبيعة، أو الخلقة، أو الغريزة، أو الفطرة، كالمأكل والمشرب، وما شابه ذلك، وهو ما يدفع الإنسان في نفسه لجلب المنافع لها ودرء المضارّ عنها، ومن ذلك تعميق الفهم الفطري لحقوق المواطنة وحراستها انطلاقاً من الوازع الجبلّي.

– المحور الثّالث: أبعاد المواطنة وصلتها بمراتب الوازع.

أ– مفهوم المواطنة: المواطنة في اللّغة من الفعل "وطن" والوطن المنزل تقيم به، وهو موطن الإنسان ومحلّه، وجمعه أوطان، واوطنه اتّخذه وطناً، يقال: أوطن فلان أرض كذا وكذا أي اتّخذها محلاًّ ومسكناً.

وأوطنت الأرض ووطنتها توطيناً، واستوطنتها أي اتّخذتها وطناً، والمواطن كل مقام قام به الإنسان لأمر ما[22].

وأمّا المواطنة في الاصطلاح فهي: الانتماء إلى دولة ذات حدود جغرافيّة وكيان سياسي، تندرج ضمنه حقوق وواجبات، يلتزم بها أصحاب الوطن الواحد[23].

والمواطنة بهذا المعنى تعتبر تطوّر في الاجتماع السّياسي الإنساني، ظهر في العصر الحديث، ولم يكن قائماً بهذا الشّكل في العصور القديمة[24].

وانطلاقاً لهذا المفهوم للمواطنة نتحدّث عن أهم أبعادها مبرزين الصّلة بينها وبين مراتب الوازع.

ب- الإنسان وضرورة الحفاظ على وجود المجتمع البشري:

يعتبر الإنسان العنصر الرّئيس والحيوي في وجود الحياة برمّتها، والتي ينتج عنها اجتماع النّاس في مكان من الاماكن، ومن خلال هذا الاجتماع البشري، يتم تفعيل قيم المواطنة، والمتمثّلة في جملة من الحقوق والواجبات التي تنظّم حياة أصحاب ذلك الاجتماع.

وللوازع بمختلف مراتبه اليد الطّولى في المحافظة على الإنسان، وترشيد حياته، وتتوفير الوسائل المعينة على جعل هذه الحياة متكاملة وآمنة ومستقرّة[25].

فالوازع الدّيني باعتباره المؤشّر العقدي والزّاجر النّابع من الاعتقادات الكامنة في نفس المواطن، يعمل على إبعاده عن كل ما من شأنه أن يمس بحقوق وواجبات المواطنة، او ان يعود عليها بالإبطال والهدم، فمن بين المثل التي يحقّقها الوازع الدّيني: حسن الجوار، وحسن المعاشرة، والاحترام المتبادل، وإعطاء كلّ ذي حقّ حقّه، والتّعاون على الخير، وكل هذه القيم الدّينيّة هي قيم مكوّنة لفقه المواطنة، وتعمل هذه القيم على تحقيق المصالح المشتركة بين المواطنين، كل هذه القيم يمكن أن تصان في ظل وجود الوازع الدّيني.

والوازع الدّيني في حقيقته لا يمكن أن ينشأ إلاّ على أرضية الوازع الجبلّي الفطري السّليم، فهو يعمل أيضاً على إبعاد المواطن عن كلّ ما يهدّد علاقة المواطنة بين أفراد مجتمع ما، إذ يجد الإنسان نفسه مفطورة على حبّ تلك القيم، واستهجان ما يُناقضها.

وفي حال وجود خلل يؤثّر على صحّة الوازع الجبلّي، او الوازع الدّيني، فإنّ هناك الوازع السّلطاني الذي يعمل على حراسة قيم المواطنة، ويتمثّل عمل الوازع السّلطاني في تسليط العقوبات الرادعة والزّاجرة عن كلّ فعل يهدّد سلامة العلاقة التي تربط بين المواطنين على اختلاف اعتقاداتهم وتقاليدهم وعاداتهم واهتماماتهم.

ج- سيادة الوطن وحرّية أرضه:

من أساسيات فقه المواطنة الحدود الجغرافيّة لهذا الوطن، وفرض السّيادة التّامة عليه، فإذا كان هذا الوطن يعاني من فقد السّيطرة على جزء من أرضه، فإنّ قيم المواطنة لا يمكن أن تسير على وجه يتم فيه تجسيد خارطة فقه المواطنة.

ولذلك فإنّ كل مظاهر الاستدمار والاحتلال تعتبر مناقضة لقيم وأسس المواطنة الصّحيحة، كما ينتج عن ذلك اعتبار أي ثورة شعبية تتطلّع إلى الحرّيّة والكرامة عمل من اساسيات المواطنة، لانّه يعمل على ضرورة ارتباط هذا الشّعب الذي يتجرّع مرارة الاحتلال والاستغلال بمكوّنات وطنه المتمثّلة في سيادة أرضه وحرّيّة شعبه.

وأحسن مثال في هذا الصّدد الثّورة الجزائريّة الكبرى التي بعثت الشّعب الجزائري من جديد كمجتمع متكامل، يُقيم علاقاته الاجتماعيّة لخدمة القضيّة الوطنيّة، إمّا في نطاق المقاومة المدنيّة التي بلغت حدّ الرّوعة كمظهر من مظاهر تحقيق فقه المواطنة، وإمّا ضمن النّشاط المسلّح الذي كان ذروة البطولة، فالثّورة شحذت إرادة الشّعب الجزائري الذي تطلّع إلى التّحرّر آنذاك على صعوبة ما واجهه من تكلفة باهضة، كما عملت الثّورة على تتويج النّهضة الإصلاحيّة، والحركة الوطنيّة باسترداد السّيادة الوطنيّة[26].

والوازع عموماً يعمل على إشباع الفكر الإنساني بمبدأ الحرّية كقيمة إنسانيّة عظيمة، فلا يمكن أن يكمل الإنسان كمالاً بشريّاً يستطيع أن يحقّق الازدهار والتّطوّر في جميع المجالات إلاّ بعد وجود الحرّية والسّيادة.

فالوازع الدّيني يعتبر الحرّيّة مقصداً من مقاصده الضّروريّة التي ينبغي أن تتوفّر لإقامة العلاقات الاجتماعيّة المبنيّة على التّكافئ والاحترام المتبادل، ولذلك فقد حارب الوازع الدّيني العبودية لغير الله، واعتبر إخلاص التّوحيد لله عنوان لكلّ معاني الحرّيّة، وجاءت قيمه ثورة على الاحتلال والاستغلال والطّبقيّة، وغيرها من المعوّقات التي غالباً ما تكون حجر عثرة أمام إقامة دولة مدنيّة تحفظ الحقوق وتقيم الواجبات.

كما أنّ الوازع السّلطاني يعمل على إلزام المواطنين بضرورة الدّفاع عن أراضيهم، ويمجّد كل من ضحّى بنفسه أو ماله في سبيل تحقيق ذلك المقصد، وهذا موجود في كلّ دساتير العالم التي تؤمن بالحرّية والسّيادة الوطنيّة.

وأمّا على صعيد الوازع الجبلّي، فمن البديهي أنّ المواطن مفطور على حبّ الوطن الذي ينتمي إليه، وهذا ملاحظ عند كل من يغيب عن وطنه مدّة وجيزة فإنّ قلبه يحدّثه به في كلّ لحظة وحين، فوجود هذا الوازع الطّبعي أو الفطري في نفوس المواطنين، يدفعهم إلى بذل كلّ ما يملكون في سبيل العمل على تحقيق الحرّيّة وإرساء السّيادة الوطنيّة على كامل تراب الوطن الذي يعيشون على أرضه، وينتمون إليه عرقيّا وتاريخيّا وجغرافيّاً وفكريّاً وثقافيّاً وعقائديّاً، فثبت بهذا دور الوازع عموماً في المحافظة على سيادة الوطن ووحدة أراضيه وسلامتها.

د- ترشيد استعمالات الإمكانات والموارد الطّبيعيّة، وإصلاح النّظم السّياسية:

يقوم فقه المواطنة أساساً على ترشيد استعمال الإمكانات والموارد الطّبيعيّة، وتحقيق العدالة الاجتماعيّة، كما يقوم على بناء النّظم السّياسيّة وضرورة إصلاحها، وهي مقصد من مقاصد مراتب الوازع.

فالوازع الدّيني يحث في مصادره على وجوب استخراج خيرات الأرض، واستغلالها في التّرفيه السّليم لحياة الإنسان كونه المهيمن على الكون باعتباره المُخوّل إليه إصلاحه وتعميره[27].

كما يحث- في مجال الحكم والسّياسة- على تطبيق نظام الشّورى والعمل على إنشاء المجالس الشّوريّة، وقد نال هذا النّظام المكانة المرموقة في مصادر الوازع الدّيني، كقوله تعالى:(فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكّل على الله إنّ الله يحبّ المتوكّلين)[28].

والمشاورة تحقّق هدف تعميق فقه المواطنة من حيث أنّها[29]:

1- تؤلّف بين قلوب الأفراد الشّركاء في الوطن الواحد، وتُشيع المودّة بينهم.

2- تسهم في تصحيح الأخطاء الصّادرة عن أصحاب القرار، ممّا يزيد في تقريب وجهات النّظر بين الفرقاء السّياسيين الذي يساعد في تقارب الأتباع والمريدين لهم، وبذلك تشيع ثقافة الرّأي والرّأي الآخر التي ينشأ عنها الاحترام المتبادل وهو قيمة مهمّة في منظومة فقه المواطنة.

3- تجمّع المواطنين على قيادة سياسيّة واحدة، تتّفق عليها الأغلبيّة وتعمل على توفير المساحة الكافية لترشيد المعارضة، حتّى تسلك المسار السّلمي وتبتعد عن كلّ أنواع العنف وصور الإرهاب التي تؤثّر سلباً في العلاقة السّياسيّة والاجتماعيّة القائمة بين المواطنين.

ومن خلال هذه النّقاط يتم ضمان المشاركة الفعّالة لكلّ المواطنين في بناء أو إصلاح النّظام السّياسي كحقّ من الحقوق المكفولة لهم باعتبار وطنيّتهم ومواطنتهم.

كما أنّ الوازع السّلطاني يعمل على وجوب المحافظة على الموارد الطّبيعيّة لقيام نظام اقتصادي قوي يحفظ للوطن هيبته أمام دول العالم.

ويُعاقب الوازع السّلطاني كلّ من يُهدّد قوّة اقتصاد الوطن كمن يمارس بعض الأعمال الممنوعة شرعاً وقانوناً؛ كالتّهريب، وغسيل الأموال، والخيانة الاقتصاديّة مثل الرّشوة، والاستثمار اللاّ أخلاقي، وغيرها من الآفات التي تعصف بالاقتصاد الذي تعدّ المحافظة عليه من أهمّ مبادئ المواطنة، فهذه الآفات تؤثّر تأثيراً بالغاً على مناخ الاستثمار وعلى سلامة الدّخل القومي، وعلى قيمة الملة التي ترمز للسّيادة الوطنيّة[30].

فالوازع السّلطاني يعمل على محاربة العصابات التّخريبيّة التي تهدّد حقوق المواطنة، وتوفيرها لكل شركاء الوطن، من خلال التّشريعات الصّارمة والواضحة المبنيّة على أسس اقتصاديّة وقانونيّة فاعلة.

وأمّا على المستوى السّياسي فالوازع السّلطاني، يحثّ المواطنين على ضرورة المشاركة في الانتخابات المحلية، والتّشريعيّة، والرّئاسيّة، قصد تكريس مفاهيم وقيم المواطنة، ويعتبر المشاركة حق وواجب بمقتضى مبادئ فقه المواطنة[31].

فمساهمة المواطن في بناء نظام سياسي ما، أو إصلاح نظام آخر هو من صميم فقه المواطنة، ويعمل على إرساء قواعدها.

كما أنّ الوازع السّلطاني يعمل على تعظيم المناسبات، والرّموز الوطنيّة، وتفعيل المناهج الإعلاميّة والتّربويّة، ورعاية الأنشطة الجمعويّة لترسيخ وتكريس قيم المواطنة ومبادئها.

– المحور الرّابع: دور الوازع في ترشيد العولمة والحد من آثارها السّلبيّة على فقه المواطنة:

أ– مفهوم العولمة:

العولمة في العربيّة ترجمة لكلمة"Globalization" في الإنجليزيّة، وتقابلها كلمةMondialisation في اللّغة الفرنسيّة، وهي كلمة حديثة في اللّغة العربيّة، وتعود في أصلها الاشتقاقي العربي إلى كلمة عالم، وتعني تعميم الشّيء ليصبح عالميّاً، أو نقله من حيّز الخصوصيّة إلى مجال العموميّة في مستواها الكوني.

فمن مقتضيات مفهوم العولمة الاندماج والتّكامل بين أطراف العالم في كلّ المجالات، وهذا الاندماج والتّكامل يصل إلى حدّ إلغاء الحدود والحواجز الثّقافية والمذهبيّة بين مكوّنات الوجود الإنساني، أو على الأقل مواراتها[32].

ولقد آثرت الحديث هنا على دور مراتب الوازع في الحدّ من الآثار السّلبيّة للعولمة في مجالي التّربية والتّعليم لحساسيتهما في بناء فقه المواطنة، وكونهما المكوّنان الرّئيسيان للثّقافة الوطنيّة لأيّ مجتمع من المجتمعات.

ب– العولمة في مجال التّربية:

العولمة التّربويّة والثّقافيّة من أخطر أنواع العولمة إذ يمكن اعتبارها عمليّة خطف ثقافي تربوي للفرد والمجتمع، ولا شكّ أنّ لهذا المظهر آثار سلبيّة على ترسيخ مفهوم المواطنة عند مجتمع من المجتمعات[33].

ولكنّ أنواع الوازع لها دور هام في الحد من خطورة هذه الآثار، فالوازع الجبلّي يعمل على تذكير الفطرة التي نشأ عليها الإنسان بما اكتسبه من عادات وتقاليد، وضرورة المحافظة عليها، وتحذّره من كلّ ما يمكن أن يهدّد ما أقامته الفطرة من تعاليم وثقافات سائدة في وطنه.

كما أنّ الوازع الدّيني يسعى إلى تركيب جهاز دفاع في الفكر البشري حتّى يتجنّب الثّقافات الواردة إليه بأثر العولمة ووسائلها المختلفة، ويعمل أيضاً على تعزيز الشّعور بالشّخصية الوطنيّة والافتخار بالانتماء إليها، وقد اتّخذ في ذلك وسائل عدّة؛ كالتذكير

بقصص السّابقين حتّى يبقى الفرد متعلّق بأمجاد الماضين، والتّربيّة بالتّاريخ، وغيرها من الوسائل التي استعملتها مصادر الوازع الدّيني.

كما أنّ الوازع السّلطاني من شأنه إصدار قوانين ومراسيم تدين كلّ مظهر من مظاهر التّأثّر بالعولمة التّربويّة أو الثّقافيّة التي تعمل على إهانة تعاليم فقه المواطنة.

ج- العولمة في مجال التّعليم:

يعتبر النّظام التّعليمي نظاماً مفتوحاً يتأثّر بمختلف التّغيّرات التي تحدث في العالم وهذا التّأثير ينعكس على جميع عناصر النّظام من مدخلات وعمليّات ومخرجات وإدارة، فالنّظام التّعليمي مرتبط بالعولمة شئنا أم أبينا، لأنّه يتفاعل مع البيئة العلميّة السّائدة في العالم.

فالعولمة بهذا الاعتبار تحمل بعض الآثار السّلبيّة قد تؤثّر في منظومة فقه المواطنة لشعب من الشّعوب، وفي هذا المجال يأتي الوازع بمختلف مراتبه حتّى يعمل عمل الحارس الذي يحرس قيم المواطنة ويحفظها من الذّوبان والانحلال في ربقة العولمة التي تفرغ الهويّة الجماعيّة من كل محتوى، الأمر الذي سيؤدّي حتماً إلى التّفتيت والتّشبّث بعالم اللاّ حق واللاّأمّة واللاّ دولة[34].

فالوازع الجبلّي يسهم في ترشيد الفطرة السّليمة حتّى تتقبّل النّافع من آثار العولمة والموافق لقيمها، وترك الضّار منها.

كما أنّ الوازع الدّيني يعتبر العولمة نظام إلحادي، لإيمانها بالعلمانيّة، وهي بهذا الاعتبار منهج مناقض لصحّة فلسفة الحياة، وهي أيضاً معادية للدّين والعقيدة والهويّة الثّقافيّة، وتحمل في طيّاتها معاني القهر والارتباط والاستعباد الحضاري والفكري، والوازع الدّيني يحارب كل هذه المظاهر، ومحاربتها مع تفعيل سياسة إعطاء البديل يسهم في تنمية الحس الوطني وتعميق فقه المواطنة.

والوازع السّلطاني أيضاً باعتباره صاحب القوّة والقرار، له دور أساسي في ترشيد الوارد من ثقافة العولمة في المجال التّعليمي، وذلك بوضع المناهج التّعليميّة التي تنقّي المفاهيم الآتية عبر قنوات العولمة، وتحرس مفهوم المواطنة وقيمها لدى المشتركين في الوطن الواحد.

- خاتمة:

في نهاية هذا المقال يمكن تسجيل النّتائج والخلاصات التّالية:

- الوازع بمراتبه الثّلاث –الجبلّي والدّيني والسّلطاني- يعمل على ترشيد فقه المواطنة، ويحث المواطنين على بناء علاقات اجتماعيّة قائمة على الاحترام المتبادل، وحسن المعاملة والجوار، وحفظ الحقوق وأداء الواجبات.

- يعتبر الحرص على التّعاون على الخير، والعمل من أجل المصالح المشتركة لتطوير الوطن- بغض النّظر عن الاختلافات الدّينية، والفكريّة، والتّطلّعات المستقبليّة- أولويّة من أولويّات تأثير الوازع في الحياة الإنسانيّة.

- الدّولة الحريصة على تعميق مفهوم المواطنة وقواعدها لدى مواطنيها هي الدّولة القائمة على أساس المشاركة الشّعبيّة، والخاضعة لسيادة القانون، وهي الدّولة التي تتكافئ فيها الفرص بين المواطنين دون تمييز أو تفريق.

- فقه المواطنة ثقافة فطريّة بمقتضى الوازع الجبلّي، وثقافة مكتسبة باعتبار الوازع الدّيني، وثقافة ملقّنة تحمل صفة الإلزاميّة بمقتضى مفهوم ووظيفة الوازع السّلطاني.

- الوازع بمختلف مراتبه يقف حارساً لخصوصيات الهوية أمام تحديات العولمة.

- الهوامش:

[1]- ابن منظور، محمّد بن مكرم الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج8، ص390، مادة (وزع)، والأزهري، أبو منصور،معجم تهذيب اللّغة، تحقيق: رياض زكي قاسم، دار المعرفة، بيروت،سنة 2001 م، ط1، ص3884، مادة (وزع).

[2] - الأزهري، معجم تهذيب اللّغة، ص3884، مادة(وزع).

[3] - سورة النّمل، الآية 19.

[4] - ابن العربي، أحكام القرآن، تحقيق وتخريج: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، سنة 1425هـ-2004م، ط1،ج3/ص345.

[5] - الأزهري، معجم تهذيب اللّغة، ص3884، مادة(وزع).

[6] - ابن عاشور، محمّد الطّاهر، أصول النّظام الاجتماعي في الإسلام، تحقيق: محمّد الطّاهر الميساوي، دار النفائس، الأردن، سنة2001م، ط1، ص137.

[7] - ابن خلدون ، مقدّمة ابن خلدون، دار الرّشاد الحديثة،(د،ت،ط)، ص207.

[8] - المصدر نفسه، ص208.

[9] - الدّرويش،عبد الرّحمان،الشّرائع السّابقة ومدى حجّيّتها في الشّريعة،سنة 1410هـ، ط1 ، ص230.

[10] - ابن منظور، لسان العرب، ج7/ص320، مادة(سلط).

[11] - سلغريوفا برلنت ماجوميدوفنا، الوازع وأثره في مقاصد الشّريعة، رسالة ماجستير مقدّمة إلى كلّيّة الدّراسات العليا بالجامعة الأردنيّة، بإشراف الدّكتور: هايل عبد الحفيظ داود، عام2006م، ص27.

[12] - ابن خلدون، مقدّمة ابن خلدون، ص43.

[13] - المصدر نفسه.

[14] - صحيح البخاري بشرح فتح الباري،كتاب الشّركة،باب هل يُقرع في القسمة والاستهام فيه، دار الحديث، القاهرة، 1424هـ،ط1، رقم2493، ج5/ص149.

[15] - الحازمي خالد، مساوئ الأخلاق وأثرها على الأمّة، وكالة المطبوعات والبحث العلمي، السعودية، سنة1425هـ، ط1، ص140.

[16] - الدّريني، بحوث مقارنة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1994م، ط1، ج1/ص496.

[17] - ابن منظور، لسان العرب، ج11/ص 96 ، مادة(جبل).

[18] - ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، الدار التونسية، تونس، سنة 1984، ج21/ص88.

[19] - سورة الرّوم، الآية30.

[20] - العز بن عبد السّلام، قواعد الأحكام ،دار الكتب العلمية، بيروت، ج2/ص130.

[21] - السّيوطي، الأشباه والنّظائر، دارالكتب العلمية، بيروت، سنة1403هـ، ط1، ص387.

[22] - ابن منظور، لسان العرب، ج13/ص451، مادة(وطن).

[23] - أحمد الحصري، الدّولة وسياسة الحكم في الفقه الإسلامي، مكتبة الكلّيات الأزهريّة، القاهرة، ص31.

[24] - المصدر السّابق، ص33.

[25] - ابن خلدون، مقدّمة ابن خلدون، ص123.

[26] - مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، تّرجمة: عمر مسقاوي، دار الفكر، دمشق، 1988م، ص136.

[27] - ابن عاشور، مقاصد الشّريعة الإسلاميّة، ص263.

[28] - سورة آل عمران، الآية159.

[29] - المليجي يعقوب محمّد، مبدأ الشّورى في الإسلام مع المقارنة بالمبادئ الدّيمقراطيّة الغربيّة والنّظام الماركسي، مؤسّسة الثّقافة الجامعيّة، الإسكندريّة، ص84-85.

[30] - غالم عبد الله الآثار الاقتصاديّة لظاهرة غسيل الأموال، مجلّة العلوم الإنسانيّة، جامعة محمّد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد17، سنة نوفمبر2009م، ص62-63.

[31] - محمّد عبد القادر أبو فارس، النّظام السّياسي في الإسلام، دار الفرقان، عمّان 1407هـ-1986م، ط2، ص26-27.

[32] - أمين جلال، العولمة، دار المعارف، القاهرة، 1998م، ص21.

[33] - عبد الباسط هويدي وعبد اللّطيف قنوعة، تأثيرات العولمة على المنظومة التّعليميّة الجامعيّة في ميدان العلوم الاجتماعيّة، مجلّة العلوم الإنسانيّة- جامعة بسكرة- العدد31/30، ماي2013م، ص27.

[34] - المصدر نفسه، ص32.